

الوافي في الوفيات

وكان صاحب محيي الدين يترسل جيداً من ذلك ما كتبه إلى أخيه صاحب عماد الدين وقد طلب منه شيئاً من ملبوسه وهو : أين أنت مما نحن فيه أكتب إليك وتكتب إلي والغفلة شاملة والحيرة ساذغة وقد رين على القلوب وزاد الوله حتى إلهي العقول وفاض حتى أعشى الأبصار لقد كما في غفلة من هذا فوا عجا كيف لا ينفطر ما لا أسميه وينشق لكثرة ما أحوم حول القول فيه ولا أوفيه إن شرت فاضت نفوس فضلاً من عيون وتراحت إلى مهاوي الإثم فيه ظنون ولو أبدت بعضه أخاف أن يفتن بعض الناس ولو أفضت أخشى أن لا يحمله سمع ولا يسمع قرطاس والرضا بالقضاء يمنع من استبطاء مقدر اللقاء ومن غرائب هذه الحال أنك تكون في شرق الأرض وأكون في غربها فتستدرج الآمال الأجسام حتى تجعلها كقاب قوسين أو أدنى ثم يفتن بنا الزمان فيجعل أجسامنا سهاماً ويرمينا بقوسه إلى البعد الأقصى : .

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك اـ كيف يجتمعان .

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمان .

ولقد عام السابح في بحر الفكر ليستخرج من قعره ما يستعين به على هذا الدهر فلم ير إلا أثراً بعد عين فبعث شعاراً بليه واستدعى دثاراً من ساميه لتلاقى فيها جسوم ما تلاقى قانعاً في الوقت الحاضر بقليل هو كثير راجياً من اـ جمع الشمل وهو على جمعهم إذا يشاء قدير .

فليت هوى الأحبة كان عدلاً ... فحمل كل قلب ما أطاقا .

وبالجملة أليس إذا صار المرء في غامض علمه يقال من حيث الصورة كان أمل بطانته وظهارته أن يصل منه نبأ يقر العين ويسر السمع ويبهج النفس من كونه في نعيم وفي غرف من علتين وفي جنة عالية قطوفها دانية وأكلها دائم وبين أشجار وأنهار وأثمار وفي جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فصاحبكم وبعيدكم في هذه الحالة يتقلب وفي هذه النعمة يصلكم خبر التواتر عنه بهذه الخطوة فليرض بهذا المقدار في الاجتماع واحسبوه في غامض علم اـ تعالى من حيث المعنى ولما توجه فلذة الكبد وسر الروح وسواد الناظر وسويداء القلب وشارفنا ثنايا الوداع أهملت مشروع التشيع حذراً أن تفيض عيون وتتفرح جفون ويظهر مكتوم وتلجى ضرورة إلى ما لا يليق بذوي المراير الأبية واللحايز العظيمة : .

ولما شربناها ودب دبيبها ... إلى موضع الأسرار قلت لها قفى .

مخافة أن يسطو علي دخيلها ... فيظهر مني بعض ما كان قد خفي .

واـ المشكور وبه المستعان في جميع الأمور وهو الخليفة عليكم لي وعلي لكم والسلام .

ابن الجنان الشاطبي .

محمد بن محمد كذا قرأته على الشيخ أثير الدين أبي حيان وأخبرني الشيخ شمس الدين الذهبي ومن خطه نقلت أنه محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن الجنان بتشديد النون بعد الجيم الشيخ فخر الدين أبو الوليد الكنانى الشاطبي الحنفى ولد سنة خمس عشرة وست مائة بشاطبة وقدم الشام وصحب الصاحب كمال الدين ابن العديم وولده فاجتذباه بإحسانهما ونقلاه من مذهب مالك إلى مذهب أبي حنيفة ودرس بالإقبالة وكان أديباً فاضلاً وشاعراً محسناً وكان يخالط الأكابر وفيه حسن العشرة والمزاج توفي سنة خمس وسبعين وست مائة أخبرني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس : قال أخبرني والدي قال كنا عند القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان وهو ينوب في الحكم بالقاهرة والشيخ فخر الدين ابن الجنان حاضر وهو إلى جانبي فأنشد أبياتاً له وهي : .

عرف النسيم بعرفكم يتعرف ... وأخو الغرام بحبهم يتشرف .

شرف المقيم في هواهم أنه ... طوراً يبوح وتارة يتلهف .

لطفت معانيه فهب مع الصبا ... فرقيب بهوبه لا يعرف .

وإذا الرقيب درى به فلأنه ... أخفى لديه من النسيم وألطف .

ولأنه يعدو النسيم ديارهم ... ولها على تلك الربوع توقف .

فقال القاضي شمس الدين : يا شيخ فخر الدين لطفته لطفته إلى أن عاد لا شيء فالتفت إلي وقال بلسانه الكاسي حمار هوّس مالو ذوك شي يعني القاضي حمار ماله ذوق وأنشدني له الشيخ أثير الدين أبو حيان : .

أفنانى القبض عني ... حتى تلاشى وجودي .

وجاءني البسط يحيى ... روعي بفضل وجودي .

فقلت للنفس شكراً ... لذاك بالنفس جودي